استخدام المنهج الكمي في دراسة جوانب من رحلة ابن بطوطة السودان الغربي انموذجًا

د. خالد علي عبد القادر التومي.

قسم التاريخ جامعة ليبيا المفتوحة- طرابلس- ليبيا.

khaled.ali.toomi@gmail.com

https://doi.org/10.5281/zenodo.20106935

https://orcid.org/0009-0000-3959-0114

المستخلص:

تكمن أهمية هذا الدراسة في كونها تقدم تجربة عملية لتطبيق (المنهج الكمي)، ومحاولة إخراجه من الواقع التنظيري إلى رحاب التجربة، من خلال استخدامه في تحليل النصوص الأدبية التاريخية. وبموجب هذا المنهج، يتم تحويل هذه النصوص إلى بيانات وأرقام، ثم إعادتها إلى سياقها التاريخي، وعرض نتائجها ضمن الإطار العام للحدث.

ومن بين الأهداف المرجو تحقيقها ايضا: استخدام وسائل ومناهج متنوعة بغرض التطوير والبحث المعمق. فهي تجربة ودعوة ملحة لاعتماد أساليب مبتكرة في (البحث التاريخي)، وسعي جاد لتطوير قدرات الباحثين على فرز الكم المتراكم من التراث، وما يحمله من حشو وزيادات تشكل عبئًا كبيرًا على كاهل المؤرخ المعاصر.

إن هذه التجربة، التي تختلف تمامًا عن الأساليب التقليدية، قادت مسارات البحث - عبر المنهج الكمي - في اتجاهات متعددة، وأسفرت عن نتائج غير نمطية. فقد كشفت الأرقام عن حقائق أخرى، مثل: عدم اتزان رحلة ابن بطوطة من حيث الكم والكيف، وأن تدوينها تم بشكل منفصل عن الرحالة وعن فترة الرحلة الطويلة. كما أن الاختصار والحذف والتلخيص قد طالها، مما أضر بجزء كبير من محتواها.

ناهيك عن أن الإحصائيات أعادت ترتيب بعض الدوافع المرتبطة بنشر الإسلام وانتقال المؤثرات الإسلامية إلى (بلاد ما وراء الصحراء)، حيث برز العامل الاقتصادي والتجاري كعامل أول، متقدمًا على عامل نشر الدين.

الكلمات المفتاحية: المنهج الكمي، السودان الغربي، المشاهدات، الاعطيات، المهن.

Abstract

This study derives its significance from offering a practical application of the quantitative methodology, aiming to transcend theoretical abstraction and venture into empirical experimentation through its use in the analysis of historical literary texts. Under this approach, such texts are transformed into data and numerical representations, which are then reintegrated into their historical context and interpreted within the broader framework of the events they depict.

Among the primary objectives of this research is the employment of diverse tools and methodologies to foster development and deepen scholarly inquiry. It represents both an experimental endeavor and an urgent call to adopt innovative methods in historical research. Furthermore, it constitutes a serious attempt to enhance researchers' capacities in filtering the vast accumulation of heritage material, much of which is burdened by redundancy and superfluous content that poses a significant challenge to contemporary historians.

This experiment, which markedly diverges from traditional approaches, has guided the research process—through the quantitative method—into multiple directions, yielding non-conventional findings. The numerical data revealed alternative insights, such as the imbalance of the journey in terms of quantity and quality, and the fact that its documentation occurred independently of the traveler and the extended duration of the journey itself. Additionally, the text was subject to abbreviation, omission, and summarization, which compromised substantial portions of its content.

Moreover, the statistical analysis restructured certain motivations associated with the spread of Islam and the transmission of Islamic influences to sub-Saharan Africa. Notably, economic and commercial factors emerged as primary drivers, surpassing the religious impetus in significance.

Keywords:(Quantitative Method – Western Sudan- Views- Gifts- Occupations).

المقدمة:

يمنح (المنهج الكمي) الباحثين في مجال التاريخ ؛ القدرة على تطوير إمكانياتهم ومهاراتهم، واكتساب خبرات في كيفية تحويل النصوص التاريخية إلى أرقام حسابية، يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج علمية دقيقة ، (فالدراسات الكمية) تحاول ان تجعل من التاريخ علما حاضرا في رحاب العلوم التجريبية والتطبيقية، واستخدامه يعطي القضايا التاريخية زخما علميا مهما، ويضفي عليها طابعا من المصداقية والواقعية، واقرب إلى الحقيقة النسبية، ويحول أغلب القضايا إلى قضايا واقعية تعتمد على النسب، والأرقام، لا على الأسطورة والتخمين(بو عقادة، 2023م: ص156).

وفي هذا الإطار فإن استخدام الأدوات والمناهج المختلفة لتحسين أداء الباحثين، والرقي بالأبحاث إلى مراتب عليا صار لزاما وطريق مشروع هدفه إيجاد وسائل جديدة، يخرج من خلالها البُحَّاث من قوالب النقل ونمطية الكتابة والاقتباس المخل، إلى تقديم أعمال تتصف بالموضوعية والتحليل والابتكار والأصالة.

هذ البحث ما هو إلا محاولة للخروج عن النمطية والاجترار والنقل والسرد والوصف، فهو محاولة استخدام (للمنهج الكمي)، واسقاطه على نموذج مهم في التراث التاريخي الإسلامي (رحلة ابن بطوطة). وهذا العمل غير مسبوق ؛ ليس من ناحية استخدام (المنهج الكمي) في قضايا التاريخ الإسلامي ؛ وإنما في إطار تلك الرحلة ، أي القول: بأننا يجب أن نذهب إلى ما بعد " التنظير " والتقيد بالمناهج الكلاسيكية.

لقد دعا ابن خلدون، في مقدمته، وفي تعريفه للتاريخ، إلى استخدام العقل والتدبر والبحث عن مناهج متعددة للوصول إلى أخبار الأمم الماضية، وأشار كذلك إلى المنهج الكمي بمفهوم ذلك العصر، وأكد أن الأغلاط والأخطاء، تقع في عملية إحصاء الأعداد، من الأموال والعسكر، ونحوها وهي ما تُعرض الراوي وناقل الأخبار لزيف الرواية والزيادة (ابن خلدون، 2000م: ص30،17)؛ وهنا وجب التنبيه إلى ان مفهوم (المنهج الكمي) الحديث يختلف تماما من حيث الاصول والمقاصد عن الذي تحدث عنه ابن خلدون.

إن محاولة استخدام (المنهج الكمي)، وتحويل تلك النصوص إلى بيانات حسابية وأرقام تجعلها مرتبطة بالنتائج والمتغيرات والعلاقات الرياضية الدقيقة، ثم إرجاعها

إلى أصلها؛ من حيث الكيف والتفسير، هي غاية المشتغلين بهذا الحقل دون شك، حيث تفسح المجال لإعادة قراءة التاريخ بشكل أعمق، وأدق بناء على ما تظهره تلك النتائج.

سوف تتناول الدراسة امكانية استخدام (المنهج الكمي)، على جزء من رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، والتي زار فيها أماكن كثيرة من العالم خلال (العصر الوسيط)، وأخص منها الجزء المتعلق برحلته إلى (بلاد السودان، ما وراء الصحراء). وسوف تحاول الدراسة ضبط موضوع الإحصاء الكمي، على أجزاء تلك الرحلة، وربط ذلك الإحصاء بالجزئيات والمشاهد الميدانية حول: الطرق، والمسافات، والأطعمة، والعلماء، والمسميات وغير ذلك.

وتهدف الدراسة إلى:

- إمكانية استخدام (المنهج الكمي) على النصوص التاريخية، والتي لا تحمل في متنها أرقاماً.
- التنوع في استخدام المناهج العملية في مجال علم التاريخ؛ خصوصا تلك التي تعتمد على التجربة والاحصاء والجداول والنسب.
- ترجمة المشاهدات إلى أرقام وجداول حسابية تظهر نتائج محددة.
- محاولة إيجاد طرق ومناهج جديدة؛ لتحسين وتطوير طرق البحث التاريخي.

إن تحليل النتائج يستوجب التفريق بين الكم والكيف، ومن ثم العودة إلى الكيف، بعد إخراج الأرقام؛ حيث تطرح للتحليل والتعليل عبر النتائج، وهذا دون شك لا يستوجب تحميل النتائج فوق ما تحتمل، مع مراعاة النقد والتمحيص الذي ينسجم مع النص الأدبي، كفكر ولغة ورسالة مكتوبة في عصره، لم يكن وجودها عبثيا أو سد عجز، أو ملأ فراغ من خلال ما أراد مرسله من ورائه.

سوف يعتمد البحث بشكل اساس على رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار" وعدد صفحاتها (815) للرحالة ابن بطوطة ، المنشورة 2007م ، وسوف يُطرح الموضوع من خلال عناصر وعناوين واضحة، متصلة فيما بينها ضمن سياق التعريف بالرحالة والرحلة ، والطرق التي سلكها، والمسافات التي قطعها، وضمن ذلك الغرض سوف تطرح قضية الكتابة وتدوين الرحلة وزمنها وملابسات تدوينها، ثم يتنقل البحث إلى رحلة (السودان الغربي) والمشاهدات التي دونتها الرحلة، ثم يتم طرح

أهم ما ركز عليه الرحالة وارد إيصاله عن ذلك العالم وزمنه، ثم يُختم البحث بخلاصة لأهم النتائج.

التعريف بالرحالة والرحلة:

هو "محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي"، أبو عبد الله بن بطوطة، والملقب "بشمس الدين وبدر الدين" ولد يوم الاثنين (17 رجب 703هـ/ 25 فبراير1304م) بمدنية (طنجة) في العصر المريني (ابن بطوطة، 2007م: ص26،7) و (العسقلاني، (د.ت): ص480) و(الشكري،2000م: 146)، صاحب الرحلة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، رحلة ابن بطوطة ؛ غادر طنجة أثناء حكم السلطان أبي سعيد المريني ، وعاد في عهد السلطان أبي عنان (ابن بطوطة،2007م: ص14) و(جلاب، 2000م: ص10)، ذكر عند تدوين الرحلة سنة (756هـ/ 1355م) ثم غابت أخباره لدرجة أن المؤرخين اختلفوا حول زمن وفاته ؛ فبالكاد ذكره ابن حجر العسقلاني (د.ت)، عند حديثه عن وفيات شهر ربيع الاخر سنة (770هـ/1368م)، (ص480-481).

وصف عام للرحلة:

انطلق الرحالة من طنجة يوم الخميس (2 رجب 725هـ/1324م) ، قاصدا (الحجاز) للحج مارا بمدن شمال أفريقيا، ثم بلاد الشام والعراق وفارس، ثم توغل في الشرق فوصل الهند والصين، كما زار اليمن واجزاء من الساحل الشرقي لأفريقيا، وقد استغرقت تلك الرحلة (25 سنة) اعقبتها عودة مباشرة لموطنه ، إلا إنه وفي أقل من سنة قرر بداية "الرحلة الثانية" إلى الأندلس، والتي كانت الأقصر؛ حيث قضاها في سنة، عاد على أثرها إلى طنجة، ولم يلبث أن قام "برحلته الثالثة" إلى بلاد السودان؛ والتي استغرقت منه سنتين، فكانت تلك الرحلة خاتمة مجمل اسفاره سنة (754ه/1353م)، أي بعد انقضاء (28 سنة) من الترحال والتنقل. تفرغ بعدها إلى تملئة مشاهداته؛ فاستغرق الأمر سنتين، إلا إن المثير في الأمر ومن خلال تتبع نصوص الرحلة؛ يتضح أن المدون ليس ابن بطوطة (2007) فقد وردت عبارة ((رحمه الله تعالى))(ص411) والتي تدل على ان تدوين بعض اجزاء الرحلة تم بعد وفاته سنة (770ه/1368م) ، وهو ما يطرح الشك حول صدقية نسب هذه المعلومات إلى ابن بطوطة.

إن وجود عبارة "رحمه الله" تفيد بأن ابن بطوطة قد توفي قبل إتمام تدوين نصوص رحلته أو استكمالها، وهذا يفتح المجال أمام احتمال أن يكون هذا الجزء – على الأقل – مضافًا لاحقًا أو منتحلًا، الأمر الذي يثير إشكاليات تتعلق بسلامة النص وأصالته.

لقد قدم الرحالة وصفا في مجمله يتفق مع ما ورد في المصادر الجغرافية، إلا إنه مختصر في كثير من جوانبه، وذلك ربما يعود لاعتماده على الذاكرة، فهو لم يدون المعلومات أثناء الرحلة، وحتي وإن فعل فقد ذكر أنه تعرض للسرقة في كثير من المرات (ابن بطوطة، 2007: ص547-551).

أمر السلطان " أبي عنان المريني "، بتدوين الرحلة سنة (754ه/1353م) في السنة نفسها التي أنهى فيها الرحالة رحلته، بناء على مشورة الوزير "أبي عبد الله الوطاسي"، وقد تم التدوين كاملا سنة (756ه/1355م)، ومن خلال تصفح هذه الطبعة التي بين أيدينا؛ نجد ان متن الرحلة الفعلي لا يتعدً (662) صفحة، وهو مقسم على النحو التالي:

جدول رقم(1) يبين نسبة عدد الصفحات لكل رحلة.

الرحلة	عدد الصفحات	النسبة المئوية	عدد السنوات
المقدمة	5	%0.756	2 تدوين
الاولي	623	%94.109	25
الثانية	8	%1.208	1
الثالثة	26	%3.927	2
المجموع 3	662	%100	30 سنة

يبين الجدول رقم (1) توزيع كم المعلومات وعدد الصفحات للرحلة كاملة، من المقدمة إلى النهاية وهي الخلل في كم المعلومات وحجمها ونسبها المئوية من الاجمالي العام، وهذه النتائج تتضح بشكل أفضل عندما تعرض في شكل بياني يعبر عنه بالشكل (1).

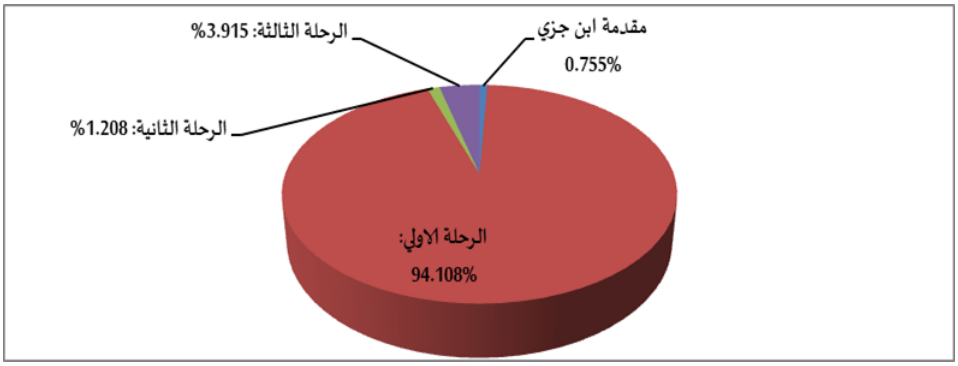

شكل رقم(1) الحجم الكمي لصفحات الرحلة.

بين الجدول رقم (1) والشكل رقم (1) النتيجة ذاتها، وهي حصر عدد صفحات الرحلة؛ حيث دلت النتائج إلى كم المعلومات الواردة حول (الرحلة الأولي): إلى الشرق والتي كانت بواقع (623) صفحة من أصل (662) صفحة، أي ما نسبته 94.108% من إجمالي عدد صفحات الرحلة ، وبشكل أدق فإن إنجاز الرحالة وعبر تلك الأرقام يكون بمعدل 24.92 صفحة في السنة من أصل 25 سنة ، أما (الرحلة الثانية): إلى الأندلس والتي استغرقت سنة فإن انتاجها لم يتعدً (8) صفحات من أصل (662)، أي ما نسبته 1.208% وهذا القدر ضئيل جدًا إذا ما قورن برحلة استمرت سنة كاملة وببلاد الأندلس.

أما (الرحلة الثالثة): إلى السودان الغربي فقد نتج عنها (26) صفحة ما نسبته 3.915% في مدة زمنية مقدارها سنتان، أي بمعدل (13) صفحة في السنة، وهذا أيضا معدل قليل بل إن السياق العام لتلك الاحصائيات؛ يعطي نتيجة مختلفة تماما، فهي تفتح مجالا للشك في كون نص النسخة الأصلية من الرحلة الحقيقة، لم يصل كاملا، وكثيرًا من التفاصيل تم اختصارها، خصوصًا وأن السلطان أبي عنان؛ قرر تكليف من يكتب الرحلة نيابة عن ابن بطوطة، فهل كان الرحالة مقلا في ذكر المعلومات وتذكرها؟ أم أن ما دونه من ملاحظات، وبسبب طول الوقت قد أضاعها فلم تسعفه الذاكرة على تذكر كل التفاصيل؟ أم أن هناك من قام بإعادة تلخيصها واختصارها بحيث تخدم الدعاية للسلطان المريني (جلاب، 2000: ص20– 27) و(الحداوي، 2000: ص340-345).

هذا القول ربما يدعمه الكاتب "أبا القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي" (العسقلاني، (د.ت): ص480-481)، والذي وضع مقدمة الرحلة فكان نصيبها (5) صفحات من أصل صفحات الرحلة، أي ما نسبته 0.755% كما أورد عبارات في نهاية الرحلة تقول:

((انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة أكرمه الله ...)) (ابن بطوطة، 2007: ص707) وهو يؤكد أن الرحلة تم تلخيصها والتصرف بنصوصها، بشكل مخل؛ بحيث أضاع التوازن في المعلومات، وتم تضخيم أخبار الشرق بسبب ولع الاخباريين به في تلك الفترة، أو لربما تم حذف كل القصص والأخبار التي لم تصدق في وقتها واعتبرت ضربا من الخيال، والكذب وفي هذا السياق، وبمراجعة ترجمة (العسقلاني)، والذي ينسب المعلومات الواردة في الرحلة لزعم الرحالة، ويذكر ايضا ان (ابن جزي) قد نمقها وحررها، بأمر من السلطان "أبى عنان"، ويذكر أيضا في هذا الصدد عبارة مهمة حول الرحالة بأن هناك من رماه بالكذب في عصره وأنكر عليه تلك الرحلة من اساسها (العسقلاني (د.ت): ص481).

إن اعتماد الرحالة على الذاكرة وما يرويه من قصص، وأخبار عاشها خلال (28) سنة وبكل دقة وتفاصيل؛ هو أمر يثير النقد والشك، ويدفع إلى القول بأن الرحلة خضعت للتعديل والتلخيص وإعادة الكتابة بعد وفاته، وهذا ربما يأتي على حساب الكم المعرفي والاختلاف الكبير بين الرحلات الثلاث، يُفقدها اتزانها وحجمها الحقيقي، ويسرب إليها الشك، وهذا ما دفع البعض برميه بالكذب واتهامه بأنه لم يزر كثيرا من المناطق التي ذكرها خصوصا القسطنطينية.(العسقلاني، (د.ت): ص481).

الرحلات:

ولمعرفة المسافات وضبطها استخدم الباحث بعض المواقع على الشبكة الدولية كان أهمها: https://ar.distance.to

الرحلة الأولى: للصين.

الجدول رقم (2) الرحلة الاولى إلى الصين أهم المناطق، المسافة، التواريخ من خلال مدون الرحلة (ص31-672).

سير الرحلة ـ طنجة ـ الصين والعودة إلى فاس	التأريخ	المسافة
طنجة ـ القاهرة عبر شمال افريقيا	الخميس 2/رجب/725ه/1324م وصل الاسكندرية أول جمادي الاولي	من طنجة- القاهرة 4.539.47كيلو متر

سير الرحلة - طنجة - الصين والعودة إلى فاس	التأريخ	المسافة
القاهرة - الشام والحجاز والعراق وخوارزم وبخاري والهند	منتصف شعبان 726ه/1325م دخل الشام – أول شوال 726ه/1325م الحجاز- العراق.	من القاهرة – الهند 6.797.27 كيلو متر من الهند - الصين 4.301.82كم من الهند – لليمن 7.023.77كم من القسطنطينية- مقديشو كلوه 6.955.26 كم طول الطريق من الغرب الى الشرق 22.662.33كم ومن الشمال الي الجنوب 6.955.26 كم
عمان – الهند	728ه/1327م	
من موانى البحر الأحمر في الشمال - إلى عدن		
من سومطرة إلى عدن		
من هرمز إلى البحرين		
اسيا الصغرى مدن مختلفة	732ه/1331م/ 743ه/1342م	
بلاد الاوزبك وشرق أوروبا	رمضان 734ه/ 1333م	
من صنوب إلى القرم	734ه/1333م	
القسطنطينية		
القسطنطينية – خوارزم – اسيا الوسطي		
خراسان – الهند – دلهي الخدمة عند سلطان الهند		
دلهي – سيلان – أسر ابن بطوطة	17-صفر- 743م/1342م	
بلاد المليبار ملابارا ساحل الهند الشرقي	جمادي الاولي 743ه/1342م محرم 744ه/1343م	
مدينة قالقوط- سيلان- سندابور	ربيع الاخر 744ه/1343م ربيع الثاني 745ه/1344م	
سيلان – بلاد البنغال- جاوة – الصين	ظفار/ محرم 748ه/1347م بغداد/ شوال 748ه/1347م	

سير الرحلة ـ طنجة ـ الصين والعودة إلى فاس	التأريخ	المسافة
الرجوع للمغرب الصين – جاوة-قالقوط- ظفار- البصرة – حلب – مكة – عيدان – القاهرة- قابس- سردانية – الجزائر – المغرب	حلب/ ربيع الاول 749ه/1348م مكة/ شعبان 749ه/1348م القاهرة/صفر 750ه/1349م قابس/ ربيع الاول 750ه/1349م فاس/ 20شعبان750ه/1349م	
ذهابا من الغرب إلى الشرق مباشرة ثم من الشمال الى الجنوب	من سنة 725ه/1324م/ - 750ه/1349م = 25 سنة .	29.617.59 كم ذهابا والعودة تقريبا نفس المسافة الاجمالي ذهابا وإيابا 59,235.18كم.
طنجة – الصين / القسطنطينية – مقديشو		

يبين الجدول رقم(2) والمتعلق (بالرحلة الأولى) إلى الصين، المسافة بشكل طولي ومباشر من الغرب إلى الشرق، ثم يعرض المسافات العرضية، والتي سار فيها الرحالة من الشمال إلى الجنوب، من القسطنطينية إلى اليمن والساحل الشرقي لأفريقيا، لهذا جاءت المسافات تقريبية وليست مضبوطة تماما، حيث تم تقدير المسافة المقطوعة ذهابا وإيابا 59,235.18كم تقريبا قطعها الرحالة مستخدما الوسائل المتاحة آنذاك، من مراكب وسفن وحيوانات، في مدة زمنية متواصلة بلغت (25 سنة)، وهي الأطول مسافة وزمناً، والاكثر معلومات، وهي أساس الرحلة.

الرحلة الثانية: إلى الأندلس.

الجدول رقم(3) الرحلة الثانية: خط السير والمسافة والزمن المستغرق.(الرحلة، ص675-683).

الرحلة الثانية	خط سير الرحلة	المسافة	الزمن المستغرق
الاندلس	فاس – طنجة – سبتة- جبل الفتح- رندة – مالقا- بلشن غرناطة- العودة نفس الخط الذهاب وصولا إلى سلا	من فاس – جبل طارق 483,93كم من جبل طارق- غرناطة 255,63كم	الشهر الاخير من 750ه/1349م العودة 752ه/1351م

الرحلة الثانية	خط سير الرحلة	المسافة	الزمن المستغرق
	من فاس إلى غرناطة	المسافة ذهابا 739.56 كم العودة من غرناطة إلى سلا بشكل مباشر 550.83 كم الاجمالي الذهاب وعودة 1.290.39 كم	سنة بداية 751ه/1350م إلى 752ه/1351م

يبين الجدول رقم(3) خط سير الرحلة الثانية إلى الأندلس، وهي الأقصر من حيث المسافة، والوقت، وكذلك من حيث كم المعلومات والمشاهدات، فهي لم تستغرق إلا سنة واحدة، قطع فيها الرحالة مسافة 1.290.39 كم ذهابا وإيابا معتبر ان سبب الزيارة الرغبة في الجهاد والرباط(ابن بطوطة، 2007: ص675).

الرحلة الثالثة: إلى بلاد السودان.

الجدول رقم(4) الرحلة الثالثة: خط السير والمسافة والزمن المستغرق(الرحلة، ص683-708)

الرحلة الثالثة	خط السير	المسافة	الزمن المستغرق
بلاد السودان الغربي	سبتة- سلا- مراكش- مكناسة – فاس- سجلماسة- تغازي- ولاته- زاغري- قرية منسا- نهر النيجر- مالي- كارسخو – ميمة- تنبكت- كوكو- تكدا – بلاد الهكار- بودا- توات- سجلماسة- فاس.	سبتة – مالي = 3.008.32 كم تقريبا. مالي – أغاديس= 1.445.58 كم تقريبا المجموع ذهابا = 4.453.9 كم تقريبا العودة/ اغاديس- توات 4.269.50 كم تقريبا . توات – فاس 2.836.07 كم تقريبا اجمالي مسافة العودة 7.105.57 كم تقريبا .	سجلماسة 15/ محرم 752ه/1351م ولاته 15/ ربيع الاول 752ه/1351م مالي 14 جمادي الأول 753ه/1352م ظل فيها إلى 22 محرم 754ه/1353م تكدا 11 شعبان 754ه/1353م سجلماسة 15 ذي القعدة 754ه/1353م إلى 2 ذي الحجة 754ه/1353م فاس ذي الحجة 754ه/ 1353م

الرحلة الثالثة	خط السير	المسافة	الزمن المستغرق
	سلك الرحلة طرقين مختلفين في الذهاب والعودة .	اجمالي المسافة 4.453.9 كم ذهابا 7.105.57كم عودة. الاجمالي11.559.47 كم	سنتان

يوضح الجدول رقم (4) خط سير (الرحلة الثالثة) إلى بلاد السودان ذهابا وإيابا، و(مصطلح بلاد السودان) كان يستخدم للتعبير عن الرقعة الجغرافية الممتدة من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الاطلسي غربا، ومن الصحراء الكبرى شمالا، إلى غابات السافانا جنوبا، ويقسم إلى ثلاثة اقسام هي: السودان الشرقي، السودان الاوسط، والسودان الغربي(القزويني، (د.ت): ص24) و (العمري، 1988: ص47) و (دائرة المعارف الإسلامية، 1933: ص327-347) والتي مر الرحالة بأهم المدن والقرى فيه، حيث يلاحظ الدقة والضبط في مواعيد السير والراحة والإقامة والتنقل، والعودة، ووصف المسالك.

والرحالة لم يغفل الحياة الاجتماعية العامة، والأنماط الحياتية للعوام في تلك المجتمعات (ابن بطوطة، 2007: ص687-690.)، على عكس (الرحلة الأولى والثانية)، التي يركز فيها على حياة القصور والملوك ومقابلاتهم، والعمل عندهم واعطياتهم.

لقد كان الرحالة من السباقين في الدخول إلى تلك المناطق، وتتبع مسالك ودروب عبور الإسلام والتجارة، فهو يقدم صورة مبكرة ومهمة عما اورده حتى وإن كان مختصرًا.

الجدول رقم (5) يبين الرحلات وعدد السنوات والمسافات التي قطعها الرحالة:

الرحلة	عدد السنوات	النسبة المئوية	المسافة المقطوعة ذهابا وإيابا
الأولي	25	89.3	59.235.18 كم
الثاني	1	3.6	1.290.39كم
الثالثة	2	7.1	11.559.47 كم
المجموع = 3	28 سنة	%100	72.085.04 كم

يتضح من خلال الجدول رقم(5)، توزيع الفترة الزمنية والمدة التي قضاها الرحالة، وقد أظهرت أن الجزء الأكبر من الوقت وطول المسافة وحجم المعلومات؛ كان من

نصيب (الرحلة الأولى للشرق)، تليها رحلة (بلاد السودان)، ثم (الأندلس)، وقد حاول الباحث تقريب المسافات وإجمالها، دون النظر إلى خصوصية الطرق البرية والبحرية، وهذا الجدول يوضح أيضا إجمالي ما قطعه الرحالة من مسافة في كامل الرحلة تصل إلى 72.085.04 كم تقريبا. وفي هذا الصدد تصف دائرة المعارف البريطانية بان ابن بطوطة قطع مسافة 75,000 ميل 120 الف كيلو متر، وهذه المسافة لم يتجاوزها أحد قبل عصر البخار.

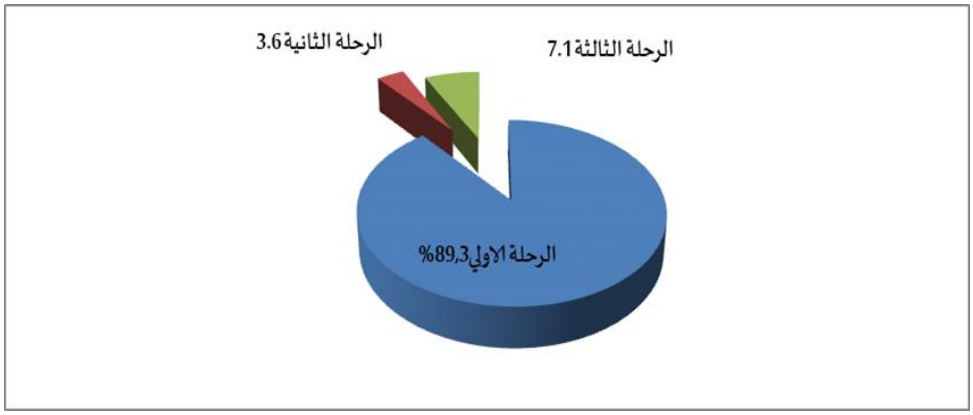

شكل رقم(2) حجم الرحلات من حيث الزمن المستغرق.

يبين الشكل رقم(2) عدم توازن الرحلات من حيث الحجم كشكل عام، ويبين ايضا عدم تقارب الرحلات من حيث الزمن والكم، (فالرحلة الأولي) تشكل الجزء الأكبر وهي محط النقد والشك والتكذيب.

إن التنقل العام والمسافات التي قطعها الرحالة بين المدن والتجمعات السكانية، المختلفة في العالم القديم، تُظهر شغفه بالمراقد الصوفية والأولياء وتعكس اهتمامه بالإسلام، فهو يسير في نفس خطوط انتشار الإسلام وامتداده، وجاء وصفه ليعبر عن جزء من الواقع الحضاري للأمم والشعوب(ابن بطوطة، 2007: ص34- 42،35، 44، 50، 56، 122، 115، 172- 175،173، 216، 229، 265، 286، 309، 321، 331، 415،393-416، 442-443، 640، 678) إلا أن البارز من خلال قراءة متأنية للرحلة؛ يتضح أنها دائما تعقد المقارنات في العادات والتقاليد والأوضاع والأنماط الحضارية والاقتصادية، بين الشرق الأقصى والغرب والشمال والجنوب، وقد انفردت الرحلة بكثير من المعلومات والأخبار بما في تلك المجتمعات.

مشاهدات الرحالة في بلاد السودان.

يفتتح ابن بطوطة رحلته (لبلاد السودان)، بمثوله بين يدي السلطان "أبي عنان" في فاس؛ حيث ودعه وحمل منه رسم السفر(ابن بطوطة، 2007: ص683-684)، وهذا القول يعزز فكرة أن الرحلة كانت مجرد رحلة جمع معلومات وتجسس، ومهمة رسمية يقوم بها الرحالة لصالح الدولة المرينية، ويرد البعض الآخر مدافعا بأنها مجرد رحلة لتعزيز العلاقات مع ملوك السودان، الذين كانت لهم علاقة بالسلطان "أبي الحسن" السابق "لأبي عنان" (شقور، 2000: ص33).

الجدول رقم (6) خط سير الرحلة التفصيلي ذهابا وإيابا والزمن والمسافات المقطوعة(ابن بطوطة، 2007: ص684- 707) و (الشكري، 2000: ص149-150).

المدينة أو القرية	التوقيت	مدة الاقامة
فاس بداية الرحلة	غرة محرم-753ه/18- فبراير-1352م	غير معروفة
سجلماسة- تغازى	14-مارس-1352م	انتظار 4 اشهر + مسيرة 25 يوم / اقام بها 10 ايام
تاسرهلا	24- مارس -1352م	اقام بها 3 ايام
ولاته	غرة ربيع الاول/ ابريل- 1352م	بعد شهرين
نياني العاصمة لم يذكر الرحالة اسم العاصمة.	يونيو- 1352م/ وصل/ 28- يونيو-1352م	24 يوم الاقامة 8 اشهر.
ميمة	22-محرم 754ه/ فبراير- 1353م	غير معروفة
قري منسا		اقام بها 7 أيام
كوكو- كاغ	22- محرم 754ه/ فبراير- 1353م	30 يوم
تكدا	11-شعبان 754ه/ 12-سبتمر- 1353م	اقام بها مدة انتظار
القرى المجاورة لتكدا		6 أيام
خرج من تكدا إلى كاهر	الخميس 11-شعبان- 754ه	مسيرة 3 أيام
مفترق الطريق غات مصر		مسيرة 15 يوم
هكار		مسيرة 10 أيام
بودا أحدى قرى توات		30 يوم

سجلماسة- فاس	2- ذي الحجة- 754ه	أقل من شهر
فاس	9- ذو الحجة 754ه/ 8-يناير- 1354م .	
	من 18- فبراير- 1352م الي 8- يناير 1354م استغرقت الرحلة 22 شهر تقريبا أي ما يعادل 670 يوم تقريبا. قطع فيها 11.559.47كم تقريبا ذهابا وإيابا.	تقريبا 548 يوم.

وعند تحليل ما جاء في الجدول رقم(6) يتضح الآتي:

1- أن مدة الانتظار كانت طويلة، فقد وصل الرحالة إلي (سجلماسة) وهي إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه اسسها "بني مدرار" في اواسط القرن الثاني الهجري، وهي مركز تجاري مهم على الطريق القاصد السودان الغربي والمغرب الاقصى.(الوزان، 1983: ص121) حيث مكث فيها 4 شهور(ابن بطوطة، 2007: ص684) قبل بداية الرحلة في انتظار انتظام قافلة وهذا يدل على كساد ذلك الخط وإنه لم يعد حيويا في زمن الرحلة.
2- وصل الرحالة إلى (ولاته) في فصل الصيف شديد الحرارة، (وولاته) وهي أول مدن ممالك السودان الغربي، وتحتوي على ثلاث قرى كبيرة واكواخ متفرقة تقع غرب (تنبكت) بحوالي 440كم، و900كم عن المحيط الاطلسي، وكانت تمثل قاعدة تجارية لتجارة الصحراء.(الوزان، 1983: ص16) فكان عليه الانتظار والاستعداد حتي تنتظم قافلة، فتلك الظروف تتحكم في المسير(ابن بطوطة، 2007: ص687-690).
3- أقام الرحالة في العاصمة (نياني – نيامي) 8 شهور متواصلة، إلا إن معلوماته جاءت مختصرة، فلم يذكر اسمها ولم يتوسع إلا في وصف جلوس ملك مالي والأيام التي يخرج فيها للناس(ابن بطوطة ، 2007: ص691-698).
4- لأسباب مجهولة سلك الرحالة طريق آخر في العودة؛ حيث ابتعد كثيرًا، فقد وصل إلى الجنوب الليبي مدينة (غات)، وتوقف على مفترق الطريق المتجه إلى (القاهرة)، وكأن وقوفه مقصودا؛ حيث كان في رفقة قافلة غدامسية، ومنها انطلق إلى الأراضي الجزائرية إلى توات، ومنها إلى المغرب الأقصى، وهذا ربما يدل على حيوية ذلك الطريق ونشاطه على عكس طرق الإياب الأخرى(ابن بطوطة، 2007: ص701- 707).

جدول رقم (7) توزيع أيام المسير والاقامة ذهابا وإيابا.

أيام المسير	الإقامة	الانتظار	إقامة ومسير	الاجمالي	المدة المحددة
132 يوم	266 يوم	120 يوم + مدة غير معروفة	30 يوم	548 يوم	22 شهر ما يقارب من 660 يوم
%24.08	%48.58	%21.89	%5.47	%100	

يلاحظ من خلال الجدول رقم(7) المسافات التي قطعها الرحالة ومدة الإقامة وهي تُظهر أن هناك بطئا في تحرك القافلة، وربما مرد ذلك إلى حجم القافلة وارتفاع الحرارة، فزمن سير القافلة كما يذكره؛ من بعد صلاة العصر إلى الصباح(ابن بطوطة ، 2007: ص686)، وهذا التوقيت له منافع منها اتقاء حر الشمس، واستخدام النجوم في الليل.

إن التوقيت بين المغرب ومالي متقارب والفارق ساعة واحدة، فالمغرب متقدم على مالي بساعة فصلاة العصر في فاس أثناء الصيف تكون الساعة (03:23) مساءً، أما شروق الشمس في فاس فهو الساعة (7:21) صباحا، والشروق في مالي (6:44) صباحا، وعند هذا التوقيت تتوقف القافلة عن السير؛ حيث تكون عدد ساعات المسير خلال اليوم الواحد (16) ساعة تقريبا، ومن أجل تقريب العملية لابد من أخذ عينة لتلك المسافات، خصوصا مفازة الصحراء، فالطريق لم تكن متشابهة الظروف ولكل منها طابعها الخاص، فمثلا لعبور الصحراء يستوجب مرافقة قافلة ، أما عند الوصول إلى مدن السودان فإن الأمن كان أهم ما يميز تلك الانحاء، مما جعل الحركة والتنقل يتم في جماعات صغيرة.

جدول رقم(8) يبين التوقيت والمسافة.

ت	البلد	ساعات السير في اليوم	ايام المسير	ذهابا	عدد الساعات	عدد (كم) في اليوم
العصر الصبح	فاس مالي	16 ساعة	49 يوم	2.528.15كم	784 ساعة	تسير القافلة بمعدل 51.594 كم في اليوم. أي بمعدل 3.224 كم في الساعة.

يعرض الجدول رقم(8) المسافات والتوقيت فالمسافة بين فاس ونيامي بشكل مباشر تقدر بـ 2.528.15 كم تقريبا وقد قطعها الرحالة في (49) يوم تقريبا، كانت القافلة تسير بمعدل (16) ساعة يوميا، مما يعني أن عدد الساعات المقطوعة خلال الذهاب كانت (784ساعة) ؛ وعند تقسيم عدد الساعات على الأيام يتضح أن القافلة قطعت ما

يقارب من 51.594 كم يوميا، بمعدل 3.224 كم في الساعة، وبالرغم من البُطَء في الحركة إلا إن قطع تلك المسافة خلال (49 يوم) بوجود قافلة كبيرة تفوق الألف جمل؛ تعتبر معقولة جدًا، أما باقي المدة فكما يبدو أنها تخصص للإقامة والتجارة وانتظار المواد القادمة من المناطق المجاورة.

تحليل صور مختلفة من المشاهدات:

يصف الرحالة المدن والقرى التي مر بها، ويصف الطرق والمسالك والأنماط الحياتية والاجتماعية، ويقارن بعض الأسعار في مدن الشرق بالغرب، كمقارنته مدينة سجلماسة بمدينة البصرة (ابن بطوطة، 2007: ص684،202).

جدول رقم (9) اسعار بعض المواد الغذائية التي ذكرها الرحالة(ابن بطوطة، 2001: ص684،202).

الصنف	الحجم	السعر	تعادل	ملاحظات
تمر البصرة	14رطل عراقي	بدرهم	يساوي ثلث النقرة	النقرة عملة فضية
لحم المغرب	18 أوقية	درهمين	ثلث النقرة	
العنب	رطل	بدرهم نقرة	ثلاثة ارطال مغربية	
الاجاص	غير معروف	عشر بدرهم نقرة		
الرمان والسفرجل	الحبة	ثمانية فلوس دراهم مغربية		

يبين الجدول رقم(9) حديث الرحلة عن أصناف المواد الغذائية والطعام وهي مشاهدة يستحضرها المدون من أجل المقارنة بين المغرب وبقية البلدان، فهو يشيد بعظمة وخيرات المغرب في كونها تحت حكم السلطان المريني، فهي الأرخص والأعظم(ابن بطوطة، 2007: ص668)، وهذا يتضح من خلال حديثه عن تمر (البصرة) ، والذي يذكر أن سعره بدرهم لكل 14 رطل عراقي، والدرهم يساوي ثلث نقره ، ولم يذكر ثمن تمر (سجلماسة) أو المغرب، إلا إنه عقد مقارنة أخرى بين المغرب والشام، ومصر ليبرهن قوله حول الأسعار، ويرى أن الدراهم المغربية صغيرة الحجم إلا أنها ذات فوائد كبيرة، ويجعلها مقياساً للأسعار، فالدرهم نقره ستة دراهم من دراهم المغرب، والنقرة: درهم يستعمل في مصر والشام والمثقال الذهب يساوي 120 درهم من الدراهم الصغار وهي ستون درهما من الكبار وكل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار وكل درهم من هذه الدراهم الكبار يعادلها درهم أسود في مصطلح أهل مصر،

والدرهم الأسود بمصر هو ثلث درهم نقره في تعامل الشام ومصر ، وهناك من يقول ان ثلاثة كبار بدرهم واحد نقره. (أوشن، 2003: ص22) فاللحم يباع في المغرب إذا غلا سعره بـــــ18 أوقية، بدرهمين، وهما ثلث نقره، أما العنب فإنه يباع بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقره، ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية، ورخص ثمنه بيع بحساب رطلين بدرهم نقره، والإجاص يباع بدرهم نقرة دون أن يحدد الكمية، أما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من دراهم المغرب(ابن بطوطة، 2007: ص667-668) و(جلاب، 2000: ص14).

ومن خلال الجدول رقم(9) يتبين أيضا الفرق في الأسعار، ومرد ذلك يكمن في قيمة العملة المرينية، والتي تعتمد على الدينار الذهبي الذي يزن ما بين 4.56غ - 4.729غ ، وله أجزاء النصف 2.28غ، والربع 1.14غ ، والثمن 0.57غ، ويساوي 120 درهم، والدرهم الفضي الصغير يزن نصف الدرهم الكبير، والدرهم يعادل 2.833غرام، وله أجزاء، قيراط، والفلس المربع، وكل درهم من الدراهم الكبار يقابله درهم أسود بمصطلح أهل مصر، والدرهم الفضي بمصر يساوي ستة دراهم من دراهم المغرب الصغيرة أي إن الأسعار بمصر تمثل ثلاثة أضعاف أسعار المغرب(أوشن، 2003: ص22) و(ساعو، 2014: ص5).

جدول رقم(10) يبين قيمة الدينار المريني

العملة	الوزن	مكونها	نوعه	يعادلها	ملاحظات
الدينار المريني	4.56غ 4.729غ	النصف=2.28غ -الربع 1.14غ. -الثمن 0.57غ.	ذهبي	15 درهما	
الدرهم المريني	2.833غ	- نصف- قيراط-فلس مربع	فضي		
المثقال الدينار	4.56غ تقريبا		ذهبي	120درهماصغيرا.	
الدراهم الكبار				= درهمين صغار	
الدرهم الاسود المصري			فضي	ستة دراهم مغربية	الاسعار تمثل 3 اضعاف في مصر عن المغرب

يلاحظ من الجدول رقم(10) ارتفاع سعر صرف الدينار المريني الذهبي ، بالمقارنة مع العملة المصرية، وربما مرد ذلك يرجع لمناطق إنتاج الذهب في (بلاد السودان)، والتي تحاول الدولة المرينية التواصل معها بكل الطرق(ابن بطوطة، 2007: ص683-684)، فكما يبدو أن خللا كبيرا وقع على مستوى تدفق الذهب الأفريقي إلى المغرب الأقصى، خلال فترة حكم خلفاء "منسى موسى" حاكم مالي "، إذ يبدو أن القوافل الصحراوية في عهد الرحالة كانت تقصد مدن المغرب الأوسط والأدنى ومصر، وانحرفت عن المغرب الأقصى، وهذا ربما يفسر تركيز الرحالة على المدن والمحطات والمسالك والطرق، فقد سلك الرحالة طريقين مختلفين.

وعند العودة لمشاهدات الرحالة يلاحظ حديثه عن (منجم تغازي)، والتي كان يسكنها عبيد قبيلة "مسوفة" وهي قبيلة كبيرة من صنهاجة اقامت مع اخواتها "لمتونه، وجزولة" وغيرها (دولة المرابطين) ثم تفرقت (ابن بطوطة، 2007: ص684)، وقد كان اولئك العبيد يحفرون الأرض ويستخرجون ألواح الملح التي تحمل إلى (بلاد السودان)، ويصف حياتهم بالقاسية، فالبلدة لا يوجد فيها إلا مسجد واحد، وطعامهم تمر وبعض المواد الأخرى، ولكن هذه البلدة مهمة جدًا بل إنها غاية في الأهمية الاقتصادية فجميع القوافل المتجهة إلى السودان تمر بها، لتتزود بالماء وبالملح وهي المادة الأهم في بلاد السودان، وهنا يذكر الرحالة كيف يشترى التجار الملح، وكيف يباع ويستبدل بالذهب في مدن السودان، (فحقارة) تلك القرية تخفي تعاملها بالقناطير المقنطرة من التبر(ابن بطوطة، 2007: ص684).

جدول (11) بعض الأوزان والأحمال والأسعار.

وزن لوح الملح	حمل الجمل	ثمن بيع الحمل	الاوزان	سعر الجمل	سعر الحصان
25 كلغ/ متوسط طول لوح الملح 1.20 سنتم	2 لوحان = 50 كلغ	ولاته = 8- 10 مثاقيل مالي= 20-40 مثقال	المثقال=4.722غرام الرطل=377.77 غرام الدينار الذهبي المريني= 4.56غرام	19 مثقال تقريبا	100 مثقال

يؤكد ابن بطوطة بأنه اشترى في بداية رحلته جمال وأعلاف لمدة أربعة أشهر، ولم يذكر أسعارها، وهو ليس تاجرا، وإنما رحالة، فكم احتاج إلى جمل لحمل امتعته

والأعلاف والماء؟ وهو يذكر أن حمل الجمل لا يتعدى اللوحين من الملح ؛ أي لا يتعدى ، 50 كلغ ، مع الأخذ في الاعتبار أن عبور الصحراء وأهوالها وما يحمله التجار من تموين وماء وأعلاف وغيرها(ابن بطوطة، 2007: ص684) و (اوشن، 2003: ص75-77)، إلا إنه وعند رحلة عودته وفي الطريق إلى مدينة (تكدا)، يذكر أنه اشترى لركوبه جملين كانا ثمنهما 37 مثقال وثلث(ابن بطوطة، 2007: ص706) ؛ أي أن ثمن الجمل 19 مثقال، بينما ثمن الحصان يفوق 100 مثقال ، بالرغم من أن الحصان غير قادر على عبور الصحراء وحمل ما يحمله الجمل ، وربما مرد ذلك أهمية الخيول واستعمالها في (بلاد السودان) للتنقل بين المدن والغزو.

لقد أوضح الرحالة أسعار الملح في مكان إنتاجه، فكلما توغل الملح في مدن الدواخل ببلاد السودان ارتفع سعره وغلا ثمنه؛ حيث يستبدل بالذهب، ويستعمل كعملة للشراء في حد ذاته(ابن بطوطة ، 2007: ص684) ويقابل الملح مثاقيل الذهب ، ووزن المثقال كما يبدو ليس ثابتا فهو يختلف من فترة إلى أخرى لكن معدله العام 4.722 غرام، ما يعادل 72حبة شعير ومعيار الحبوب والثمار الجافة يستخدم عند أهل " مالي، وجنى، وتنبكت " عند غياب الأوزان المعدنية.

العملة المستخدمة في بلاد السودان:

أورد الرحالة خلال وصفه للحياة الاقتصادية نمط التعامل المالي بأنه بدائي، يعتمد على المقايضة والاستبدال، ولم يذكر ما يعرف " بالتجارة الصامتة " التي تفترض أن عملية استبدال الملح، بالذهب تتم دون تقابل (بوفيل، 1988: ص61-62).

جدول (12) بعض أنواع العملات التجارية(ابن بطوطة، 2007: ص684-706).

نوع العملة	القيمة	يعادلها
الذهب	أساسي تقاس به الأشياء	يقاس بالمثقال- ويستبدل بكل المواد
قطع الملح	عملة صرف ومقايضة	يشتري به ويقايض ويعادل الذهب.
حلى الزجاج (النظم)	أساسي	يقايض به الطعام وبعض السلع
السلع العطرية القرنفل- المصطكى تاسرغيت بخور	مقايضة الطعام .	يقايض بها الطعام وغيرها من السلع
الودع	أساسي عملة صرف	عملة للبيع والشراء لها قيمة محددة.

نوع العملة	القيمة	يعادلها
النحاس الأحمر	مقايضة -الرقيق منه يشترون به اللحم والحطب. – الغليظ: يشترى به العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح.	قضبان طول شبر ونصف الرقيق: 600-700 بمثقال ذهب. الغليظ = 400 قضيب بمثقال ذهب.
الأثواب	مقايضة – باللحم – والسمن – واللبن- ويأخذ غرامة.	عيني وتقدير شخصي- قيمة غير ثابتة.

يبين الجدول(12) أهم العملات المستخدمة في إنجاز الصفقات التجارية في البيع والشراء؛ حيث يلاحظ الاعتماد بدرجة أولى على نظام المقايضة أكثر من الشراء والبيع نقداً، فالنظام النقدي الشرائي كان ضعيفاً، ووجود النقود المسكوكة لم تكن شائعا بشكل كبير، وحتى وإن وجدت فإنها تستعمل مساعدة لنظام المقايضة. فالرحالة أنجز أغلب احتياجاته بمواد تعادل الذهب مجلوبه من الشمال، منها الثياب والحلي، والودع، والملح، والأعشاب العطرية (ابن بطوطة، 2007: ص684، 689، 706)، لهذا لم يستطع عقد مقارنة بين اقتصاد المغرب (وبلاد السودان)، فالنظام الاقتصادي السوداني يعتمد على الذهب، باعتباره منتجا ومصدرا له، وسوف نعرض في الجدول التالي كميات الذهب التي ذكرها الرحالة، سواء أكانت في عمليات البيع والشراء أو اعطيات.

الجدول رقم(13) نوعية الاعطيات(ابن بطوطة، 2007: ص684- 708).

المكان	القيمة عينية ام نقدية	صاحب الاعطية	قيمتها
رسم الخروج من فاس	غير محددة	السلطان المريني	غير معروف
سجلماسة	اشترى بها الجمال وعلفتها 4 أشهر	الفقيه أبي محمد البشري	
مالي	ثور	ترجمان السلطان دوغا	غير معروف السعر
مالي	طعام غراتين من الفوني وقرعة من الغرتي	الفقيه عبد الواحد	
مالي	طعام الأرز الفوني	ابن الفقيه	

المكان	القيمة عينية ام نقدية	صاحب الاعطية	قيمتها
مالي	طعام ضيافة	شمس الدين ابن النقويش المصري	
مالي	الطعام وغيره	زوجة الفقيه عبد الواحد ابنت عم السلطان	
مالي	قماش السلطان وهديته	منسى سليمان سلطان مالي	أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالغرتي وقرعة فيها لبن رائب
مالي	زكاة الفطر ذهب	منسى سليمان سلطان مالي	33 وثلث مثقال من الذهب
مالي	ذهب	منسى سليمان سلطان مالي	100 مثقال ذهب
تنبكت	رقيق	فربا سليمان نائب سلطان مالي	غلام خماسي
تكدا	طعام + ذهب	سلطان تكدا	راس غنم مشوي قعب حليب كبشين مشويين عند الصباح والمساء + 10 مثاقيل من الذهب
تكدا	طعام حليب	ام سلطان تكدا واخته	عينية

يتبين من خلال الجدول رقم(13) بعض الأعطيات، التي تحصل عليها الرحالة، فهي لم تخرج عن الطعام والذهب والرقيق وبعض الحيوانات؛ إلا إن الحصر في الجدول رقم(14) يوضح أن على رأس تلك الأعطيات يأتي الطعام، أما ما تحصل عليه الرحالة من ذهب؛ فقد كان محدوداً بل أظهر الرحالة امتعاضه من بخل " ملك مالي "، الذي طلب منه إكرامه حتى يذكره عند الملوك، لهذا فقد أكرمه من أموال زكاة الفطر، في شهر رمضان بما مقدراه 33 مثقال وثلث، وزاده عند سفره 100 مثقال. كما أن أحد الأمراء قد أحسن إليه بـ 10 مثاقيل، فيكون ما تحصل عليه لا يتعدى 143 مثقال وثلث، وهي نسبة بسيطة جدًا، لهذا نشاهده يعقد مقارنة بين ما اعطى "منسى سليمان" وبين ما اعطى سلفه "منسى موسى"، الذي اعطى في يوم واحد 4000 مثقال "لأبي اسحاق الساحلي"، وأعطى في يوم واحد أيضا "لمدرك بن فقوص" 3000 مثقال(ابن بطوطة، 2007: ص697)، وعندما تعقد مقارنة بين ما قدم الرحالة في الواقع وبين وما يحكي

ويسرد ؛ اعتقد أن مبالغة وتضخيما حصلا حول قضية الذهب في (بلاد السودان)، والنتائج هنا تظهر أن تلك المجتمعات كانت بدائية وارتكازها على المواد العينية في المبادلة والمقايضة أهم من الذهب كقيمة معدنية، فالطعام والمواد الأساسية هي الأبرز، وهذا ما يظهر جليا من خلال الجدول(14).

جدول رقم (14) نسب الاعطيات.

انواع الاعطيات	طعام	نقدي	اخرى	غير معروفة	مشترك	الاجمالي
عددها	6	4	2	1	1	13
النسبة	%46.1	%30.7	%15.3	%7.6	%7.6	%100

المغاربة في السودان الغربي:

يذكر الرحالة عددا من المغاربة القاطنين والمترددين على مدن (بلاد السودان)؛ حيث كانت وظائفهم تعطي الانطباع بأنهم مرتبطين بتلك المناطق بسبب ما يقومون به من نشاط، مثل: التجارة والاشتغال في علوم الدين. وتلك الوظائف يبدو أن أهلها كانوا مكرمين ويحضون بمكانه كبيرة عند الحكام (ابن بطوطة، 2007: ص691، 692)، ومن حولهم من رجال الدولة.

الجدول رقم(15) يبين اسماء المغاربة المقيمين واصولهم ومهنهم(ابن بطوطة، 2007: ص684-708).

الاسم	الاصل	مكان التواجد	المهنة
أبي محمد البشري	سبتة	سجلماسة	فقيه
أبو محمد يندكان	مسوفي	سجلماسة	مقدم القافلة
الحاج زيان	تلمساني	القافلة	تاجر
ابن بداء	سلا	ولاته	مقيم
محمد بن عبد الله بن ينومر	غير محدد	ولاته	قاضي المدينة
يحيي بن عبد الله	غير محدد	ولاته	فقيه ومدرس
محمد بن الفقيه الجزولي	جزولي	مالي	كبير جماعة البيضان
شمس الدين بن النقويش المصري	مصري	مالي	مقيم مصري
عبد الوحد	غير محدد	مالي	فقيه ومقرئ
علي الزودي المراكشي	مراكش	مالي	طالب
أبي حفص المسوفي	مسوفي	مالي	طالب وتاجر

الاسم	الاصل	مكان التواجد	المهنة
أبي بكر بن يعقوب	غير محدد	ميمة	تاجر
محمد بن عمر	مكناسة	كوكو	مقيم
الحاج محمد الوجدي التازي	مغربي	كوكو	مقيم
محمد القيلالي	مغربي	كوكو	امام مسجد البيضان
الحاج وجين الغدامسي	غدامس	كوكو	دليل ومقدم قافلة
مغربي التادلي (علي أغيول)	تادلي	كوكو – تكدا	تاجر
سعيد بن علي الجزولي	جزولي	تكدا	شيخ المغاربة
أبو ابراهيم اسحاق الجاناتي	غير محدد	تكدا	قاضي المدينة
جعفر بن محمد المسوفي	مسوفي	تكدا	مقيم
محمد (مجهول باقي الاسم)	غير محدد	تكدا	خطيب
أبو حفص (مجهول باقي الاسم)	غير محدد	تكدا	مدرس
محمد بن عبد الله	غير محدد	تكدا	فقيه وقاضي المدينة

يتبين من خلال الجدول رقم(15)؛ أن عدد الذين ذكرهم الرحالة بعد حصرهم يبلغ (23) شخصاً، موزعين على10 مهن، وهي لا تخرج عن إطار التجارة وعلوم الدين الإسلامي، وبالرغم من ذلك التواجد الإسلامي والعلماء حول الحكام وفي المدن والقرى، إلا أن مشاهدة الرحالة تؤكد عدم تحدث "حاكم مالي" باللغة العربية، وكذلك كبار الأمراء، فالحديث معهم يحتاج إلى مترجم(ابن بطوطة، 2007: ص692، 701)، كما أن بعض النصوص تؤكد وجود تجمعات من "البيضان"، ولهم محلات سكانيه خاصة فيها مساجد ومرافق، يشرف عليها أئمة منهم، وتلك الجاليات العربية من مصر وشمال أفريقيا، ويبدو ان وجودهم الأساسي كان مرتبطاً بالتجارة والحياة الاقتصادية(ابن بطوطة، 2007: ص691،689).

جدول رقم(16) مهن المغاربة بالسودان الغربي من خلال الرحلة.

العدد	23 شخص										
المهنة 10	فقيه	مقدم قافلة	مقيم	قاضي	مدرس	مقرئ	طالب	تاجر	أمام مسجد	خطيب	مشتركة
	4	2	5	3	2	1	2	3	1	1	2
النسبة	17.3 %	%8.6	21.7 %	%13	%8.6	%4.3	%8.6	%13	%4.3	%4.3	%8.6

عند حصر المهن من خلال الجدول رقم (16)، يتبين أنها تتعلق بالتجارة وعلوم الدين، وهي مرتبطة بوجود أولئك القادمين أو المقيمين، والرحالة يركز على المتنفذين في تلك المجتمعات السودانية والملتصقين بالحكام، فهم من أصول عربية، يمتهنون مهنة علوم الدين ولهم علاقات جيدة بالتجار؛ حيث يتعاملون معهم بشكل مباشر ويقدمون المساعدة في كراء البيوت واستقبال التجار والحضور معهم أمام الحكام(ابن بطوطة، 2007: ص687، 691-692، 695-696).

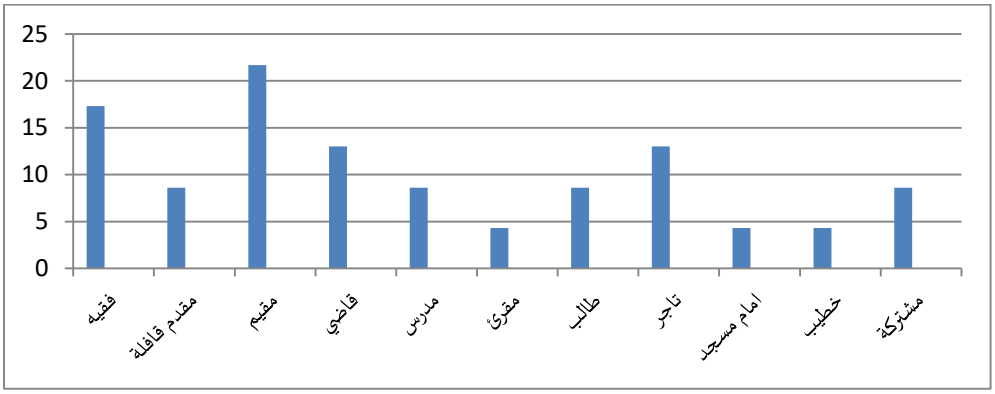

شكل(3) يبين المهن وترتيبها.

يظهر الشكل(3) ان النسبة الأعلى بين تلك المهن، يتمتع بها المقيمون، وهم المتحكمون في التجارة من ناحية والاشتغال بعلوم الدين من ناحية أخرى. ثم يأتي الفقهاء ويليهم التجار ثم القضاة ، وتلك النسب القريبة من بعضها تظهر تداخل مهنة التجارة ، ودراسة علوم الدين أو أن حاجة تلك البقاع لعلوم الدين يستوجب تواجد تلك المهن(ابن بطوطة، 2007: ص689)، وهذا يفرض على طلبة العلم والمشتغلين بعلوم الدين امتهان التجارة؛ لتأمين أقواتهم واستغلال المناخ المتاح لهم ولوجودهم هناك، وفي هذا الشأن يذكر ابن بطوطة(2007) ما نصه ((وصلنا إلى قرية زاغري، وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمون ونجراتة، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية، من الخوارج ويسمون صغنغو، والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري))(ص689)، أما على مستوى النماذج الفردية ومن أجل استنتاج أن اصحاب المهن الدينية يشتغلون بالتجارة ما اورده الرحالة حول قضية "أحد التجار" من طلبة قبيلة "مسوفة" والذي اشتكى ظلم مشرف ولاته "نائب السلطان" أمام العامة في المسجد حول أموال ومعاملات تجارية، مما جعل السلطان يكلف القاضي بحلها فثبت للتاجر الطالب حقه فأخذه وعزل النائب(ابن بطوطة، 2007: ص696)، كما يذكر مدينة "تكدا"

والتي نزل بها في جوار شيخ المغاربة "سعيد بن علي الجزولي"، وقاضيها "أبو ابراهيم إسحاق الجاناتي" وكذلك "جعفر بن محمد المسوفي" وهم من سكان المدينة حيث يذكر أن لا شغل لأهل تكدا غير التجارة(ابن بطوطة، 2007: ص704).

حصر بعض محاسن أهل السودان ومساويهم:

خصص الرحالة جزءاً يسيراً من حديثه لبلاد السودان، فبين العادات الحسنة التي يتصف بها السكان، والتي تظهر فطرية وبساطة تلك المجتمعات، فهم لا يعرفون الظلم ومدنهم وقراهم آمنة بشكل كبير، ويحرصون على أرواح وأموال الغرباء، فلا يعتدون على أموال من مات عندهم من البيضان، ولو كانت القناطير المقنطرة(ابن بطوطة، 2007: ص698)، وهذه الأخلاق الفطرية توافقت مع ما جاء به الإسلام الحنيف.

الجدول رقم (17) يبين المحاسن والمساوئ(ابن بطوطة، 2007، ص698).

	الافعال الحسنة	المساوئ
1	قلة الظلم عند الحكام والرعية	ظاهرة العري للعبيد ذكور وإناث
2	الأمان على الارواح والأموال	وضع التراب على الرأس (التتريب) التذلل للحكام والحلف بأسمائهم وتصديقهم.
3	أمانتهم وعدم اعتداءهم	يأكلون الجيف
4	حرصهم على الصلوات خصوصا في جماعة	يمارسون طقوس وثنية (الشعراء)
5	تربية الأطفال على الصلاة وحفظ القران	بعض المناطق لا يدخلها البيض
6	المواظبة على صلاة الجمعة والاهتمام بها	الغالبية لا يتكلمون اللغة العربية
7	تعايش الفرق والمذاهب الإسلامية	الرفاهية في كثرة العبيد والجواري
8	كرم النساء- والإكرام بالطعام	تصديق مالا يصدق من كلام الحشرات والحيوانات
9	مكانة المسجد وحرمته والاستجارة به من الحاكم	نظام اجتماعي قاسي طبقي
10	وفاء الحكام بوعودهم	تعظيم شأن النساء فهن لا يحتجبن ولا يحتشمن ولهن أصدقاء وأصحاب دون الأزواج
11		تسمين الفتيات بالقوة من أجل الجمال
12		انتساب الابناء للأخوال حتى أنهم يرثونهم

لقد أشاد الرحالة بما شاهده من أفعال حسنة، بخصوص الدين وكيف يحرص سكان (بلاد السودان) على تعليم أولادهم القرآن، وترددهم على المساجد، واحترامهم للنساء، وحرمة المساجد عندهم وغيرها من الأفعال الحسنة التي يوردها الجدول رقم (17)(ابن بطوطة، 2007: ص 697- 698)، إلا أنه في الجانب الآخر، أورد ما أسماه مساوئ أفعالهم، والتي تنحصر معظمها في عادات وثنية موروثه من مجتمعاتهم الأفريقية، كتوريث أبناء الأخت، والعلاقات بين الرجال والنساء، وظاهرة العري، وخضوعهم لحكامهم والتذلل لهم، ويتبين من خلال ما حصر من عادات سيئة؛ أنها تتعلق بالمجتمعات وتكوينها الفطري البدائي المنغلق، فالصحراء شكلت عازلاً وسداً منيعاً لحماية تلك المجتمعات من التطور وانتقال المؤثرات الحضارية، لهذا كان الانتقال بطيئا وعلى ما يبدو لم يحرص المقيمين على نقل تلك المؤثرات، فالتعامل اقتصر على فئات معينة دون إشراك العامة.

الجدول رقم (18) حصر أهم العادات السودانية.

الافعال	عددها	نسبتها
الحسنة	10	%45.454
المساوئ	12	%54.545
المجموع	22	%100

يتبين من الجدول رقم(18) ما يذكره الرحالة من أفعال حسنة ومساوئ، ويلاحظ تقارب النسب؛ حيث حققت الافعال الحسنة (45.454%) والمساوئ (54.545%)؛ وبالنظر إلى خصوصية المساوئ فيلاحظ أنها لا تدخل في إطار الأعمال العدوانية من القتل أو السرقة، وإنما تتعلق بعادات محلية، ترتبط بعلاقات اجتماعية بين الرجال والنساء، وهي مستهجنة في المجتمعات الإسلامية، بالرغم من أن بعضها كان موجودًا في المجتمعات العربية قبل الإسلام.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم خلص البحث إلى الآتي:

- يلاحظ بان هناك اختلالا كبيرا من حيث المادة والمعلومات والزمن المستغرق في كل رحلة.

- تم تدوين الرحلة بشكل منفصل عن الرحالة، وعن التدوين اليومي للمشاهدات، فما وصلنا ما هو إلا مجرد ما تَذكَّره الرحالة واستطاع استحضاره بعد انقضاء (28 سنة) من التنقل والسفر، وقد تباينت أغراض الرحالة والمدون.
- تعرضت الرحلة في مجملها إلى الحذف والاختصار والتلخيص؛ لدرجة أنها لم تعد تعبر عن رحلة طاف صاحبها كل مدن العالم القديم استمرت عشرات السنين.
- أظهرت النتائج الاحصائية أن خطوط التجارة زمن الرحلة إلى (السودان الغربي) والمغرب الأقصى؛ كانت تعاني مصاعب ولم تكن منتظمة وحيوية، بل إنها انحرفت عن فاس وسجلماسة ومدن المغرب الاقصى إلى المغرب الأوسط والأدنى ومصر، وهذا جعل نسب الذهب وكمياته تنخفض، ويقل وصولها إلى دولة بني مرين، وهو سبب مبكر ومقدمة لغزو المنطقة وفرض السيطرة عليها.
- رحلة السودان الغربي كانت ذات طابع اقتصادي صرف، فهي وصف للحياة الاقتصادية والمنتجات والطرق والبضائع والتبادل.
- قضية الأعطيات وقيم الذهب العالية، التي تمنح من الملوك والحكام تضاءلت أمام ما حصل عليه الرحالة من حكام مالي، فقد كانت الأطعمة هي الأغلى قيمة من الذهب.
- أظهرت نتائج حصر المهن أن وجود المغاربة سكان شمال أفريقيا، كان بسبب التجارة وأن الاشتغال بعلوم الدين يأتي في المرتبة الثانية أو هما مهنة واحدة متداخله وكان التجار والعلماء مرتبطين بطبقة الحكام إلا أن تأثيرهم الثقافي خصوصا اللغوي كان ضعيفاً فالحكام والأمراء كانوا لا يتحدثون إلا بوساطة مترجمين.
- أظهرت النتائج فيما يخص محاسن ومساوئ سكان بلاد السودان؛ طبيعة المجتمع الفطرية والتي تتفق مع ما جاء به الإسلام، فالمساوئ لا تعدو كونها عادات اجتماعية وسلوكا اجتماعيا لما قبل الشرائع السماوية، والتي لا تحرض على القتل أو الظلم ومساحة الصفح والعفو كانت كبيرة.

ثبت المراجع:

- أوشن، خاليد: (2003). *المقاييس والمكاييل والموازين وطرق المعاملات التجارية القديمة في غرب إفريقيا*. أكادير. المغرب.

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: (2007). *رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار*. ط4. شرحه وكتب هوامشه. (طلال حرب). دار الكتب العلمية. بيروت.
- بوفيل، روبن هاليت: (1988). *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*. (ترجمة الهادي أبو لقمة. محمد عزيز). منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.
- جلاب، حسن: (2000). *المغرب الأقصى في رحلة ابن بطوطة، مجلة المنهل*. عدد خاص ابن بطوطة. القسم الأول. عدد 59. الرباط. المغرب.
- الحداوي، الطائع: (2000). *النص الواصف لابن جزي: صيغه الخبرية وأنماطه الخطابية، المعرفة والتاريخ. مجلة المنهل*. العدد 59. الرباط، المغرب.
- ابن خلدون، عبد الرحمن: (2000). *مقدمة ابن خلدون*. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- دائرة المعارف الاسلامية: (1933). مادة السودان. م12. القاهرة. مصر.
- ساعو، محمد ابن: (2014). *السكة والنظام المصرفي بالمغرب الإسلامي في دولة ما بعد الموحدين(ق07-09هـ/13-15م). مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية*. جـ5. الجزائر.
- الشكري، أحمد: (2000). *رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان*. مجلة المنهل. عدد خاص ابن بطوطة. القسم الاول. عدد 59. المغرب.
- شقور، عبد السلام: (2000). *المغرب في رحلة ابن بطوطة. مجلة المنهل*. عدد خاص. عدد 59. الرباط. المغرب.
- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر: (د.ت). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، جـ3. دار الجبل. بيروت. لبنان.
- بوعقادة، عبد القادر: (2023). *العدد والاحصاء والحقيقة التاريخية "قراءة في نماذج من التاريخ" مجلة عصور الجديدة*، كلية العلوم الإنسانية. جامعة وهران. المجلد 13. العدد1. الجزائر.
- العمري، شهاب الدين ابو العباس أحمد: (1988). *التعريف بالمصطلح الشريف*. تحقيق (محمد حسين شمس الدين). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- القزويني، زكريا بن محمد: (د.ت). *آثار البلاد واخبار العباد*. دار صادر. بيروت. لبنان.
- الوزان، الحسن بن محمد: (1983). *وصف افريقيا*. ط2. ترجمة. (محمد حجى. محمد الاخضر). جـ2. دار الغرب الاسلامي. بيروت. لبنان.